الحكام وخدمهم

حُكـي أن بعض الملوك طلع يومًـا إلى أعلى قصره يتفرج، فلاحـت منـه التفاتة، فرأى امـرأة على سطـح دار إلى جانب قصـره، لم يرَ الراؤون أجمل منها، فالتفت إلى بعض جواريه، فقال لها: لمن هذه؟

فقالت: يا مولاي، هذه زوجة غلامك فيروز.

فنـزل الملك، وقد خامـره حبها، وشغف بهـا، فاستدعى غلامه فيروز، وقال له: يا فيروز.

قال: لبيك يا مولاي.

قـال: خـذ هذا الكتـاب، وامضِ بـه إلى البلـد الفلانية، وائتني بالجواب.

فأخذ فيروز الكتـاب، وتوجه إلى منزلـه، فوضع الكتاب تحـت رأسه، وجهز أمـره، وبات ليلتـه، فلما أصبـح ودّع أهله وسـار لينفـذ أمر الملك، ولم يعلم بما دبـره، وأما الملك فإنه لما توجه فـيروز قام مسرعًا، وتوجه متخفيًا إلى دار فيروز، فقرع الباب قرعًا خفيفًا.

فقالت امرأة فيروز: من بالباب؟

obeikandl.com

قال: أنا الملك سيد زوجك.

ففتحت له، فدخل وجلس.

فقالت له: أرى مولانا اليوم عندنا!

فقال: زائر.

فقالت: أعوذ بالله من هذه الزيارة، وما أظن فيها خيرًا.

فقال لها: ويحك! إنني الملك سيد زوجك، وما أظنك عرفتني.

فقالت: بل عرفتك يا مولاي، ولقد علمت أنك الملك، ولكن سبقتك الأوائل في قولهم:

سأتركُ ماءَكم منْ غيرِ وردٍ
وذاكَ لكثرةِ الوُرّادِ فيهِ

إذا سقطَ الذُّبابُ علَى طعامٍ
رفعتُ يدِي ونفسِي تَشْتهِيهِ

وتجتنِبُ الأسودُ ورودَ ماءٍ
إذا كانَ الكلابُ ولغْنَ فيهِ

ويرتجعُ الكريمُ خميصَ بَطنٍ
ولا يرضَى مساهمَةَ السَّفيهِ

وما أحسن يا مولاي، قول الشاعر:

قــلْ لــلــذِي شــفَّــه الــغــرامُ بنا
وصــاحــبُ الــغــدْرِ غــيــرُ مــصــحُوبِ

واللهِ لا قــالَ قــائِــلٌ أبــــدًا:
قــدْ أكــلَ الــلــيــثُ فضلةَ الــذيــبِ

ثم قالت: أيها الملك، تأتي إلى موضع شرب كلبك تشرب منه. فاستحيا الملك من كلامها، وخرج وتركها، فنسي نعله في الدار، وهذا ما كان من الملك.

أما ما كان من فيروز، فإنه لما خرج، وسار تفقَّد الكتاب، فلم يجده، فتذكر أنه نسيه تحت فراشه، فرجع إلى داره، فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره، فوجد نعل الملك في الدار، فطاش عقله، وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة إلا لأمر يفعله، فسكت، ولم يبدِ كلامًا، وأخذ الكتاب، وسار إلى حاجة الملك، فقضاها، ثم عاد إليه، فأنعم عليه بمئة دينار، فمضى فيروز إلى السوق، واشترى ما يليق بالنساء، وهيأ هدية حسنة، وأتى إلى زوجته، فسلّم عليها، وقال لها: قومي إلى زيارة بيت أبيك.

قالت: وما ذاك؟

قال: إن الملك أنعم علينا، وأريد أن تُظهِري لأهلك ذلك.

قالت: حبًّا وكرامة.

ثم قامت من ساعتها، وتوجهت إلى بيت أبيها، ففرحوا بها، وبما جاءت به معها، فأقامت عند أهلها شهرًا، فلم يذكرها

زوجها، ولا ألمَّ بها، فأتى إليه أخوها، وقال له: يا فيروز، إما أن تخبرنا بسبب غضبك، وإما أن تحاكمنا إلى الملك؟

فقال: إن شئتم الحكم، فافعلوا، فما تركت لها علي حقًّا، فاطلبوه إلى الحكم، فأتى معهم، وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالسًا إلى جانبه.

فقال أخو الصبية: أيَّد الله مولانا قاضي القضاة، إني أجَّرت هذا الغلام بستانًا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة، وأشجار مثمرة، فأكل ثمره، وهدم حيطانه، وأخرب بئره، فالتفت القاضي إلى فيروز.

وقال له: ما تقول يا غلام؟

فقال فيروز: أيها القاضي، قد تسلمت هذا البستان، وسلمته إليه أحسن مما كان.

فقال القاضي: هل سلَّم إليك البستان كما كان؟

قال: نعم، ولكن أريد منه السبب لردّه.

قال القاضي: ما قولك؟

قال: والله يا مولاي، ما رددت البستان كراهة فيه، وإنما جئت يومًا من الأيام، فوجدت فيه أثر الأسد، فخفت أن يغتالني، فحرَّمت دخول البستان؛ كرامة للأسد.

وكان الملك متكئًا، فاستوى جالسًا، وقال: يا فيروز، ارجع إلى بستانك آمنًا مطمئنًا، فوالله إن الأسد دخل البستان، ولم

يؤثر فيه أثرًا، ولا التمس منه ورقًا، ولا ثمرًا ولا شيئًا، ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة، وخرج من غير بأس، ووالله ما رأيت مثل بستانك، ولا أشد احترازًا من حيطانه على شجره.

فرجع فيروز إلى داره، وردّ زوجته، ولم يعلم القاضي، ولا غيره بشيء من ذلك.

الحكمة:

إذا كنتَ فِي حاجةٍ مرسلا
فأرسلْ حكيمًا ولَا تُوصِه

وإنْ بابُ أمرٍ عليكَ التوَى
فشاورْ لبيبًا ولا تَعصِه

وإنْ ناصحٌ منكَ يومًا دنَا
فلا تنأَ عنْه ولا تُقصِه

obeikandl.com